الصحافة والادب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الصحافة على اختلاف مواعيدها وموضوعاتها قريبة اللحمة بالادب من حيث هو لغة وتعبير عن شعور

فما من صحيفة مهذبة — ايًّا كان موعدها ومطلبها — الا وهي تزيد ذخيرة اللغة المكتوبة وتضيف الى محصول النفس من المعاني والخواطر ، وهي بهذه المثابة تخدم الادب وتوسع نطاقه بين طبقات القراء . ومتى كان هذا شأن الصحف عامة فأحرى بالصحف المقصورة على الادب او التي تفرد له بابًا خاصًا بين ابوابها ان تعد في مقدمة الوسائل الادبية وفي طليعة الفتوح التي تفسح حدود دولته وتضاعف عدد المعنيين به ، وكثيرٌ بين صحف العصر الحاضر التي تصنع هذا الصنيع وتفرغ بعض ابوابها لآثار الشعراء والكتاب والنقاد واصحاب القصص والطرف وسائر ما يسمى ادبًا في عرف القراء ، وهي تفعل ذلك لان الادب موضوع مشترك يقرأه الاديب وغير الاديب ويسهل على من شاء ان يأخذ بنصيب منه على قدر استعداده ورغبته . فهو مطلب لا غنى عنه لصحيفة تريد ان تستجمع اسباب الاقبال وتبز غيرها في التنويع والتشويق ، ويرجع الى هذا اعتناء صحف السياسة اليومية في اقطار العالم بباب الادب وما يتصل به ويجري مجراه . فقد اصبح لبعضها كتاب اخصاء يمدونها بالنتف اليومية او الفصول الاسبوعية او بالقصص القصيرة والطويلة المتتابعة . فاستفادت هي وافادت القراء والكتاب فائدة قلَّ ان تتاح بغير هذه الوسيلة

فمن تحصيل الحاصل ان يقال ان الصحافة اداة كبيرة النفع للآداب والادباء . خدمتها وخدمتهم باذاعة اشعارهم وآثارهم وتبليغ رسالتهم الى طبقات وطوائف ما كانت لتسمع بها لولا الصحف والمجلات . ولا محل للاسهاب في بيان فوائد الصحافة الادبية للادب لان الاسهاب في بيان ذلك كالاسهاب في القول بان رواج الآداب وتكثير عدد قرائها مفيد للآداب . ومثل هذا القول في غنى عن التبسيط والتدليل

الا ان سؤالاً طبيعيًا لا بد ان يرد على الخاطر في هذا المقام وهو : هل افادت الصحافة الادب من جانب النوع والدرجة كما افادته من جانب الكم والكثرة ؟ وبعبارة اوضح هل رفعت الصحافة مستوى الادب كما زادت عدد قرائه وضاعفت مادة مسطوراته ؟ والجواب في رأيي الى النفي اقرب منه الى الايجاب

ذلك ان انتشار الكتابة بين جميع الطبقات يوكلها بالاعم الاشيع من الاذواق والاهواء ويجعل الحكم الغالب عليها لجمهور القراء ومن يطلبون من كل قراءة ملهاة تشبه ملاهيهم المسفة

وتعجب افكارهم الساذجة ، فلا يسع الصحيفة ان تقصر كتابتها على افانين القول التي تحتاج في فهمها وتذوقها الى ملكة نادرة وذهن واسع وطبع مثقف ، ولا حيلة لها الا ان تلقي بالها الى الفئة الكبرى بين سواد قرائها مذ كان بقاؤها وذيوعها رهناً برضاهم عنها قبل رضا الهيئة الناخبة المختارة . وتلك آفة للديمقراطية الحديثة لا ندري كيف يطاق الصبر عليها ولا كيف يعالجها الزمان فيما يعالج من الغير والاطوار

يستبشر قوم برواج الآداب المسرحية ولا ارى في رواجها الا علامة من علامات الكسل عن القراءة وانعام النظر ، و يستبشر آخرون بكثرة الموجزات التي تلخص بدائع القرائح ولا ارى في كثرتها الا علامة اخرى على ذلك الكسل الوخيم فكأن هبوط درجة الآداب تبع لازدياد قرائها حين يكون أولئك القراء من اشباه الامهين او من طلاب اللغو وتزجية الفراغ ، وكأن فكرة المساواة قد هبطت بالاعلى الى مقام الادنى ولم ترتفع بهذا الى مقام ذاك ! فاصبح الاغمار قانعين باقدارهم زاهدين في طلب المزايا الفكرية والفضائل النفسية ، ووقر في اوهامهم انهم انداد اكبر كبير في الذكاء والعلم فلا بغية لهم عنده الا ان يسليهم و ينقدوه ولا حق له في ان يقف منهم موقف الاستاذ من المتعلم والمرشد من المسترشد ... ولا شك في ان سلطان الشعب هو خير نظام عرفه الناس بعد من انظمة الحكم واساليب سياسة الاقوام ، ولكن هذا الاثر الذي جناه على الآداب والفنون حق ايضاً لا شك فيه

وفي اوربا اليوم ادباء مشهورون يقرأون في انحاء العالم بأسره ، ولكن ليس بين هؤلاء المعاصرين الذين قرأت لهم من هو اجدر بالاحترام من ايبانز الكاتب الاسباني ومرجكفسكي الكاتب الروسي و براندللو الكاتب الايطالي . لانهم اكرم اقداراً على انفسهم واترفع اقلاماً عن محاباة الشهوات وتمليق الجهالات من عامة الكتاب الغربيين ، ولست اعرف سبباً خاصاً لذلك الا انهم نشأوا في أمم متخلفة بين أمم اوربا لم يسيطر فيها سلطان الشعب على الآداب والاقدار ولم يسحب على الاقلام سنة المساواة والابتذال كما سحبها على الامم السابقة في الحكومة الشعبية والتعليم

و بعد فهل الصحافة هي التي اوجدت هذه الحالة او هي المسئول الاكبر عنها ؟ لا اظن . فانها حالة عمت الكتب والصحف وشاعت بين المصنفات ما كان له موعد مرسوم وما لم يكن له موعد للصدور . و يجب ان نذكر هنا ان الصحافة هي اقدر من غيرها على علاج هذه الحالة لانها تستطيع ان تحمل الجيد على الردىء فيحمله معه و يستميل اليه جمهور القراء شيئاً فشيئاً ولو على سبيل التجربة وحب الاستطلاع

عباس محمود العقاد